



المعطف المسحور

بقلم : عبد الحميد عبد المقصود

بريشة : عبد الشافي سيد



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

الطبع والنشر والتوزيع
ب. ١٩٨٨ - ٢٠٠٠
فلسطين

حَلْ فَصْلُ الشَّتَاءِ بِبَرْدِهِ الْقَارِسِ ، وَعَوَاصِفِهِ التَّلْجِيَّةِ ، وَأَمْطَارِهِ
الْغَزِيرَةِ ، وَرُعُودِهِ الْمُسْتَمِرَّةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَى ارْتُوبِ سِوَى مِعْطَفٍ
وَاحِدٍ ، لَكِنَّهُ كَانَ مِعْطَفًا قَدِيمًا بَالِيًا ، مَلِيئًا بِالنَّقُوبِ وَالرَّقَاعِ فِي
كُلِّ شِبْرِ مِدَّةٍ ..

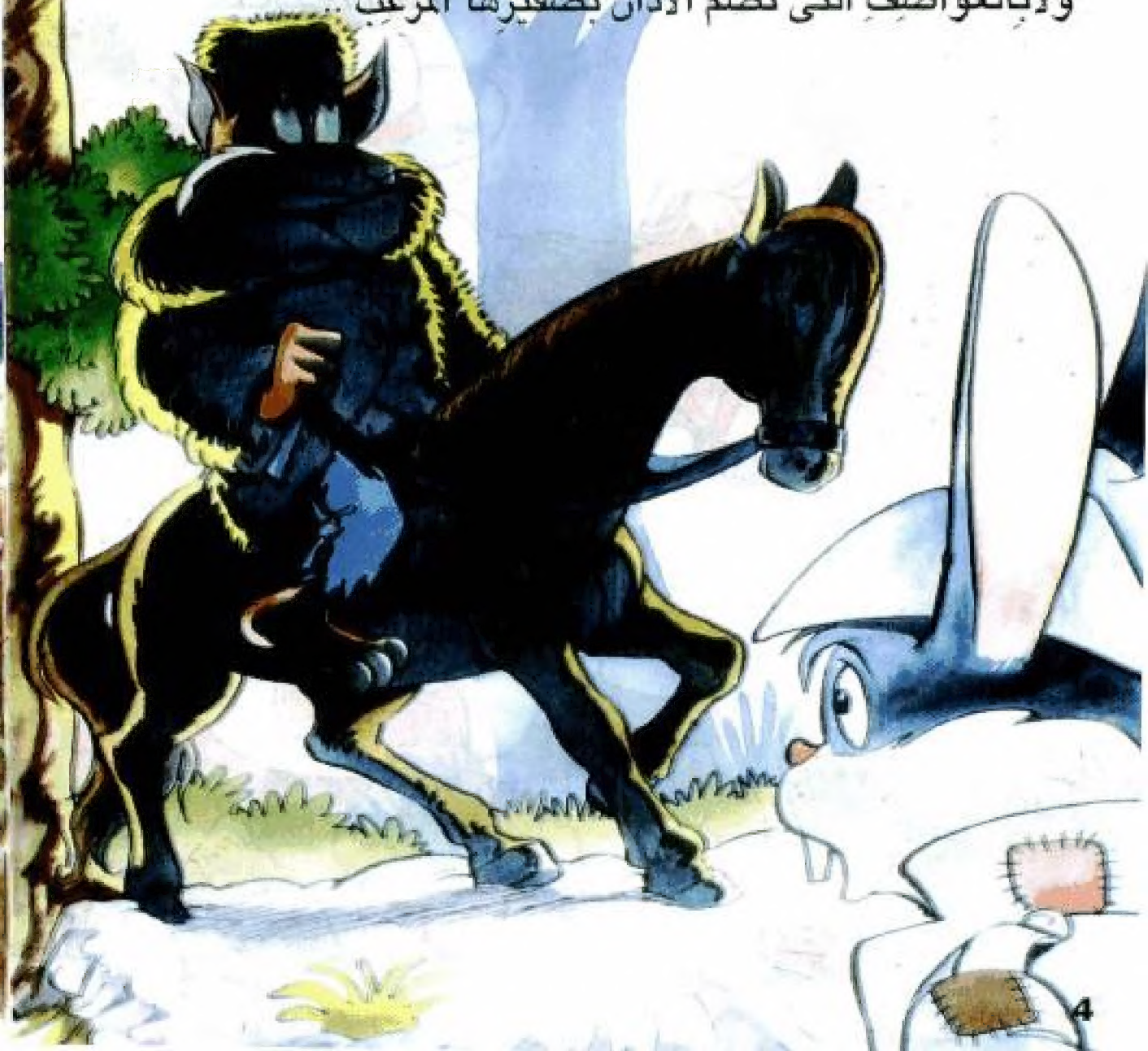
وَلِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْمِعْطَفُ الْقَدِيمُ الْبَالِي يَقْبِي ارْتُوبًا بَرْدَ
الشَّتَاءِ ، أَوْ بَلَلِ الْمَطَرِ .. وَلَمْ يَكُنْ لَدَى ارْتُوبِ نَقُودٌ لِشِرَاءِ
مِعْطَفٍ جَدِيدٍ ..



وفى يومٍ تَلَجَّى مُمَطِرٍ وَغَاصِفٍ امْتَطَى أَرْثُوبٌ صَهْوَةً جَوَادِهِ ،
وَمَضَى فِى طَرِيقِهِ خَارِجَ الْقَرْيَةِ لِإِنْجَازِ بَعْضِ الْأَعْمَالِ ، وَفِى
الطَّرِيقِ اشْتَدَّتْ الْعَاصِفَةُ ، وَآخَذَتِ الرِّيحُ تَصْفِرُ بِقُوَّةٍ ، فَآخَذَ
الْحِصَانُ الْمُسَكِّينَ يَتَعَثَّرُ فِى مَشْيِهِ ، وَفَوْقَهُ أَرْثُوبٌ يَرْتَعِشُ بِقُوَّةٍ
مِنَ الْبَرْدِ ، حَتَّى إِنْ أَطْرَافُهُ تَقَلَّجَتْ مِنَ الْبَرْدِ ، وَكَادَتْ تَتَجَمَّدُ ،
وَآخَذَ أَرْثُوبٌ يَتَمَائِلُ فَوْقَ سَرَجِ الْحِصَانِ ، وَيَنْفُخُ فِى كَفَّيْهِ ،
حَتَّى يَتَحَاشَى الْبَرْدَ .



لكنه لم يستسلم أبداً لليأس ، بل أخذ يردد في حماس :
- بعد قليل سوف أعثر على معطف جديد ، حتى ولو لم يكن
معي مليم واحد ، فالميت وحده هو الذي لا يأمل في فرصة
للنجاة ، وأنا ما زلت حياً ..
وأخذ يردد ذلك عدة مرات ، وفجأة ظهر أمامه فارس يقطع
الطريق نشيطاً فوق صهوة جواده ، غير عابئ بالبرد
ولابالعواصف التي تصم الأذان بصغيرها المرعب ..



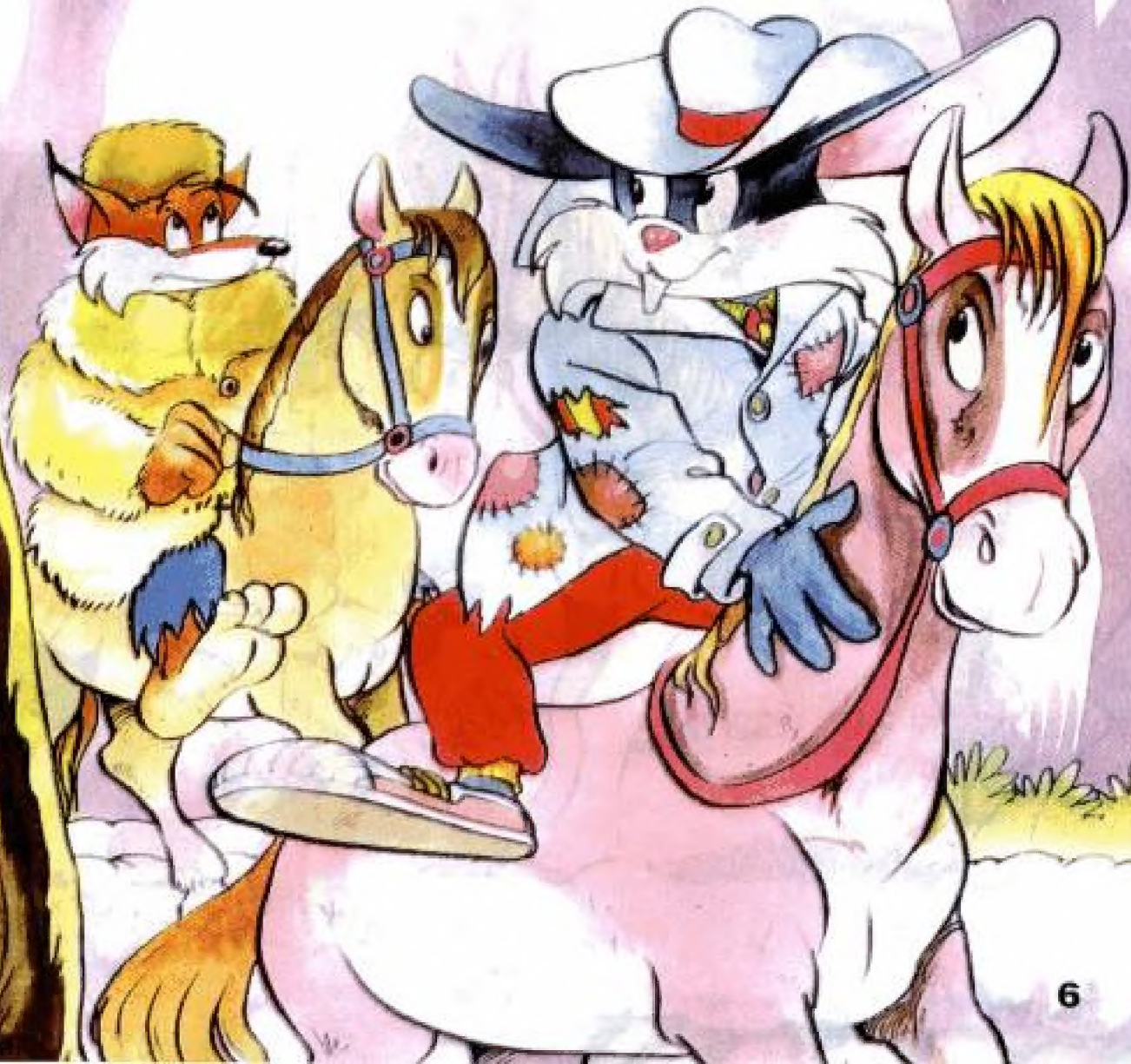
كَانَ هَذَا الْفَارِسُ النَّشِيطُ هُوَ تَغْلُوبُ نَفْسُهُ ، وَكَانَ يَرْتَدِي
مِعْطَافًا ثَقِيلًا جَدِيدًا مِنْ فِرَاءِ الدَّبِّ السَّمِيكِ ، وَكَانَ الْمِعْطَافُ يُغَطِّي
جِسْمَهُ كُلَّهُ ، فَلَمْ تَنْقُذْ إِلَيْهِ نَسَمَةً وَاحِدَةً مِنَ الْبَرْدِ ، وَبِرَغْمِ ذَلِكَ
فَإِنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ بِأَنَّ أَطْرَافَهُ تَكَادُ تَتَجَمَّدُ ، فَكَانَ يَنْفُخُ فِيهَا بَيْنَ
الْحَيْنِ وَالْآخَرِ ، لِيَطْرُدَ عَنْ نَفْسِهِ هَذَا الشَّعُورَ الْقَاسِيَ بِالْبَرْدِ ..



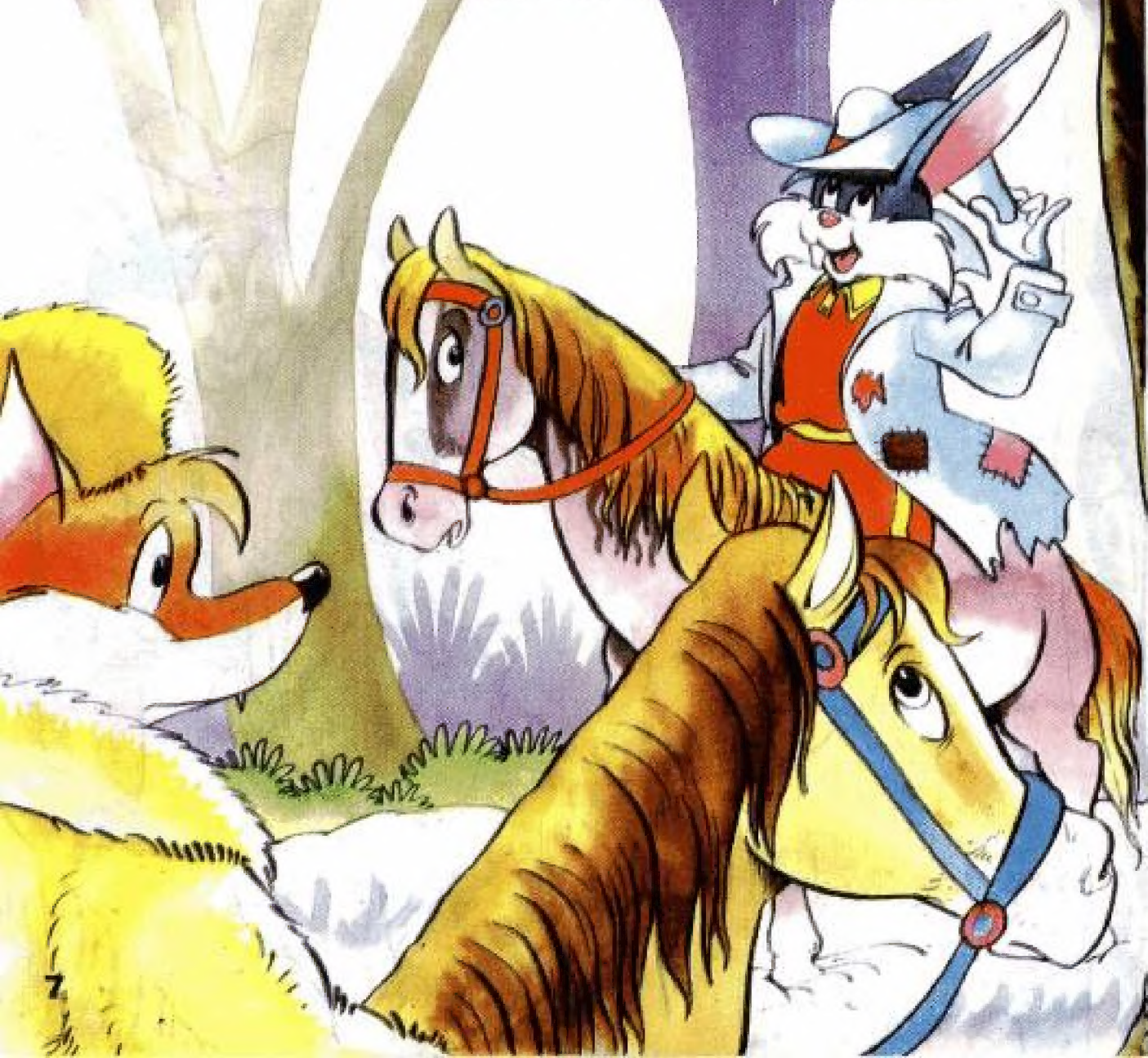
وما إن رأى أرنوبُ تغلوبًا ، وتعرّفه ، حتّى تهلّل وجّههُ
بالفرح ، وصاح مُردّدًا فى نفسه :

- ها هى ذى الفرصة الموفّقة قدّ وانتنى ، ولن أموت من
البرد ..

لا أحد يدفع الثعلب إلى الفخّ ، بل هو الذى يمضى إليه ..
وراح أرنوبُ يفكرُ بسرّعةٍ ، فى الطريّة التى سيحتالُ بها
على المسكين تغلوب ..



وفى الحال رفع أرثوب (طاقيته) إلى مؤخرة رأسه ، وفتح
المعطف على صدره ، وكأنه لا يشعر بالبرد على الإطلاق ،
وارخى عنان الحصان تاركاً إيّاه يسير على هواه وكأنه
لا يتعجل شيئاً ، ثم أخذ يصفر بفمه ، ويغنى بصوت مرتفع ،
وكانه فى نزهة خلوية ، فى أحد أيام الربيع الساطعة الشمس ..
وعلى بُعد عدة خطوات التقى الفارسان ثعلوب وأرثوب ،
لكن ثعلوباً كعادته لم يتعرف أرثوباً ..



نَظَرَ تَعْلُوبُ إِلَى ارْتُوبِ مُسْتَنْكِرًا ، وَقَالَ لَهُ :
مَالِكَ تَصْرُخُ هَكَذَا أَيُّهَا الْفَارِسُ ؟ هَلْ جِئْتِ مِنَ الْبَرْدِ ؟
فَأَجَابَهُ ارْتُوبُ بِلا مَبَالَاةٍ :
عَنْ أَيِّ بَرْدٍ تَتَحَدَّثُ ؟
فَرَدَّ عَلَيْهِ تَعْلُوبُ :
الْبَرْدُ الَّذِي يَلْسَعُ وَجْهِي ، وَيُجَمِّدُ أَطْرَافِي .. أَلَا تَشْعُرُ بِهِ ؟



فَقَالَ ارْتُوبُ مُسْتَهِينًا :
أَنَا لَا أَشْعُرُ بِأَيِّ بَرْدٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ يَا أَخِي ..
فَنَظَرَ إِلَيْهِ تَعْلُوبٌ فِي دَهْشَةٍ ، وَقَالَ لَهُ :
مَاذَا تَقُولُ ؟ لَا تَشْعُرُ بِهَذَا الْبَرْدِ الرَّمْهَرِيرِ ؟
قُلْ كَلَامًا مَعْقُولًا يَا أَخِي ..
فَضَحِكَ ارْتُوبُ مُسْتَهِينًا ، وَقَالَ لَهُ :
إِذَا أَرَدْتَ الْحَقِيقَةَ ، فَأَنَا مَسْرُورٌ جِدًّا بِهَذِهِ النَّسْمَةِ الرَّقِيقَةِ ،
وَلَوْلَاهَا لَاهْلَكَنِي الْحَرُّ ..



وَوَسَّعَ أَرْثُوبُ فَتْحَةَ مِعْطَفِهِ مُمْتَلَأَ الشَّعُورَ بِالاخْتِنَاقِ مِنْ
شِدَّةِ الْحَرِّ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ تَعْلُوبٌ وَهُوَ يَنْفُخُ فِي أَطْرَافِهِ مِنَ الْبَرْدِ
وَقَالَ لَهُ :

هَلْ جَنَيْتَ يَا هَذَا ؟! انْظُرْ إِلَى مِعْطَفِي الثَّقِيلِ ، وَبِرَغْمِ ذَلِكَ
فَأَنَا أَكَادُ اتَّجَمُّدُ مِنَ الْبَرْدِ .. هَلْ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يُشْعِرَكَ هَذَا
الْمِعْطَفُ الْبَالِي بِالدَّقَاءِ ، أَكْثَرَ مِمَّا أَشْعُرُ بِهِ دَاخِلَ مِعْطَفِي ..
لَا .. لَا .. قُلْ كَلَامًا مَعْقُولًا يَا هَذَا ..



فَتَبَسَّمَ ارْنُوبُ وَقَالَ :

يَبْدُو أَيُّهَا الْأَخُ الطَّيِّبُ أَنَّكَ لَا تَخْلُو مِنَ الذُّكَاءِ ، وَبِرَّغْمِ

ذَلِكَ تَنْقُصُكَ الْخَيْرَةُ وَالْحَنُكَةُ ...!

فَقَالَ لَهُ تَعْلُوبُ : لِمَذَا ؟!

فَرَدَّ عَلَيْهِ ارْنُوبُ : لِأَنَّكَ لَمْ تَقْطُنْ إِلَى حَقِيقَةِ مِيعَظِي ..

فَقَالَ تَعْلُوبُ سَاخِرًا : أَيُّهُ خَيْرَةُ تَنْقُصُنِي ؛ لَكِنِّي أَعْرِفُ

أَنْ مِيعَظَكَ الْبَالَى يَحْتَوِي عَلَى مِائَةِ ثَقَبٍ وَثَلَاثِمِائَةِ رُقْعَةٍ !



فردّ عليه أرثوب : يالها من كلمات طائشة تقولها يا أخي ،
دون أن تعرف معناها .. لقد لاحظت في معطفي مئات العيوب ،
لكبك لم تفتن إلى أن هذه العيوب هي سرّ القوة السحرية
الخارقة لهذا المعطف .
فتعجب تعلوب قائلاً : قوة سحرية خارقة ؟! يالك من
مضحك حقاً يا أخي ..
فقال أرثوب : إنه معطف ليس مثله معطف : لأنه مسحور ..



فَسَأَلَهُ تَعْلُوبُ : كَيْفَ ؟

فَرَدَّ عَلَيْهِ أَرْثُوبُ شَارِحًا : الْبَرْدُ وَالرِّيَّاحُ يَدْخُلَانِ مِنْ ثُقْبٍ ،
فَيَخْرُجَانِ عَلَى الْفَوْرِ مِنْ ثُقْبٍ آخَرَ ، وَلِهَذَا أَشْعُرُ وَأَنَا دَاخِلَ
هَذَا الْمِعْطَفِ - الَّذِي لَا يُقَدَّرُ بِثَمَنِ - فِي أَثْنَاءِ زَمْهَرِيرِ الشِّتَاءِ ،
وَكَأَنَّنِي فِي يَوْمٍ حَارٍّ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ الْحَارِقَةِ ..

سَمِعَ تَعْلُوبُ هَذَا الْكَلَامَ ، فَفَغَرَ فَاهُ مِنَ الدَّهْشَةِ ، وَقَالَ فِي
نَفْسِهِ : يَا لَهُ مِنْ مِعْطَفٍ رَائِعٍ ، وَلَكِنْ كَيْفَ أَسْتَوَلِي عَلَيْهِ مِنْ
هَذَا الْأَبْلَهَةِ ؟



وَلَا حَظَّ أَرْنُوبُ ذَلِكَ ، فَنَظَرَ إِلَى تَعْلُوبٍ قَائِلًا :

فِيمَ تَفَكَّرُ يَا أَخِي ١٩

فَرَدَّ عَلَيْهِ تَعْلُوبٌ قَائِلًا : أَفَكَّرُ فِي مُبَادَلَتِكَ ..

فَقَالَ أَرْنُوبُ : وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ نَتَبَادَلُ ٢٠

فَقَالَ تَعْلُوبُ : أُعْطِيكَ مِعْطَفِي الْمَصْنُوعَ مِنْ فِرَاءِ الدَّبِّ ،

وَتُعْطِينِي مِعْطَفَكَ الْمَسْحُورَ ..

فَرَدَّ عَلَيْهِ أَرْنُوبُ سَاخِرًا : أَنَا أُعْطِيكَ مِعْطَفِي الْمَسْحُورَ !! كَلًّا ..

بَدَلًا مِنْ إِضَاعَةِ الْوَقْتِ فِي الْكَلَامِ الْفَارِغِ أَسْرِعْ إِلَى دَارِكَ ، حَتَّى

لَا تَتَجَمَّدَ مِنَ الْبَرْدِ ..



فَقَالَ تَعْلُوبُ : إِذَا كَانَ لَا يَكْفِيكَ مِغْطَفِي زِدْتُكَ عَلَيْهِ نُقُودًا ..
فَرَدَّ عَلَيْهِ أَرْنُوبُ ، وَمَا حَاجَتِي إِلَى النُّقُودِ ، وَأَنَا أَرْتَدِي هَذَا
الْمِغْطَفَ الْمَسْحُورَ !

فَقَالَ تَعْلُوبُ : إِذْنِ سَأَعْطِيكَ مِغْطَفِي وَحِصَانِي فِي مُقَابِلِ
مِغْطَفِكَ الْمَسْحُورِ .. وَوَأَفِقْ أَرْنُوبُ عَلَى الْمَبَادِلَةِ ، حَتَّى
لَا تَضِيعَ الْفُرْصَةَ مِنْ يَدِهِ ، فَتَزْعَ مِغْطَفَهُ الْبَالِي الْمَلِيءَ
بِالنُّقُودِ ، وَارْتَدَى مِغْطَفَ تَعْلُوبِ ، ثُمَّ أَخَذَ الْحِصَانَ وَاخْتَفَى سَرِيعًا ..



مَضَى تَغْلُوبٌ سَعِيدًا بِالْمِغْطَفِ الْمَسْحُورِ ،
وَاشْتَدَّتِ الْعَاصِفَةُ ، فَأَنْتَظَرَ أَنْ يَهْبِطَ عَلَيْهِ الدَّفْءُ ،
كَمَا أَوْهَمَهُ أَرْثُوبٌ ، وَلَكِنْ مِنْ أَيْنَ يَأْتِي الدَّفْءُ دَاخِلَ
مِغْطَفِ مَثْقُوبٍ ؟

وَعِنْدَمَا تَنَبَّهَ تَغْلُوبٌ إِلَى الْخُدْعَةِ ، كَانَ الْوَقْتُ قَدْ
فَاتَ ، فَأُصِيبَ بِنَزْلَةٍ بَرْدٍ ، وَهُنَا فَقَطْ أَدْرَكَ أَنَّ أَرْثُوبًا
وَرَاءَ هَذِهِ الْخُدْعَةِ ..

(تَمَّت)

